وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر -بسكرة-
قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: النظريات الأنثروبولوجية الكلاسيكية
المستوى: السنة الثانية ليسانس أنثروبولوجيا عامة
الأستاذة: قوراري منيرة
السنة الدراسية: 2024-2025

المحاضرة 03: التيار التطوري

تمهيـــد -:

بولوج أوروبا الحديثة عصر التنوير، بدأت الأنتروبولوجيا تتشكل كعلم قائم بذاته، وهنا برزت العديد من الاتجاهات والتقاليد النظرية، تناول من خلالها دارسوا الأنتروبولوجيا العديد من الموضوعات والقضايا والإشكالات، ويمكن القول أن هذه الاتجاهات تشكلت على نحو ما لتصبح مدارس متعددة لحقل علمي واحد، كما تأسست وفق تقسيم جغرافي لبدايات الأنثروبولوجيا الأمريكية أين البريطانية إلى الفرنسية وصولا إلى الأنثروبولوجيا الأمريكية كما هو معروف في أواسط القرن العشرين الذي تميّز بتغيرات سياسية وجغرافية غير مسبوقة وبروز الولايات المتحدة كقوة عسكرية واقتصادية متعاظمة: وهو ما أعطى دفعا قويا للفكر الأنثروبولوجي الحديث، وأصبح هذا الفكر بحد ذاته متأثرا بجملة التغيرات تلك.

لقد كانت نظرية التطور مفهومًا رئيسيًا في مجال الأنثروبولوجيا، إذ توفر إطارًا لفهم تطور المجتمعات والثقافات البشرية. في السنوات الأخيرة، حدثت تطورات مهمة في استخدام نظرية التطور في الأنثروبولوجيا. كان أحد التطورات الرئيسية هو دمج البيانات الجينية والأثرية لفهم التطور البشري بشكل أفضل. وقد أدى ذلك إلى فهم أكثر دقة لكيفية تطور المجتمعات البشرية مع مرور الوقت، وقدم رؤى جديدة للعوامل التي شكلت الثقافة والسلوك البشري.

التطور الآخر كان استخدام النظرية التطورية لفهم أصول السلوك الاجتماعي البشري بشكل أفضل. وقد شمل ذلك دراسة تطور السلوكيات الاجتماعية مثل التعاون والإيثار والمنافسة، وكيف أثرت هذه السلوكيات على تطور المجتمعات البشرية. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك تركيز متزايد على دور التطور الثقافي في تشكيل السلوك البشري، وكيف يمكن فهم ذلك ضمن إطار تطوري.
بشكل عام، قدم دمج نظرية التطور في الأنثروبولوجيا رؤى جديدة حول تطور المجتمعات والثقافات البشرية، وأدى إلى فهم أكثر دقة للعوامل التي شكلت السلوك البشري.

1- الاتجاه التطوري:

برزت هذه النظرية كأولى النظريات الأنثروبولوجية، حيث جاءت في سياق الحركة الفكرية التي تجذرت خلال القرن الثامن عشر، وانقسمت إلى التطورية الكلاسيكية والتطورية الحديثة، وتعد من أقدم النظريات التي استخدمت لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية وتنبني هذه النظرية على أساس علمي وهو أن الإنسان انتقل من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة البدائية بشكل تدريجي، وكان العامل المهم في هذا الانتقال هو الإدراك والسلوك وأن الإنسان ذكي منذ نشأته.

تأثر أصحاب هذه النظرية بأفكار التطور البيولوجي لصاحبها تشارلز داروين، وكذا حول مسألة تطور البشرية باتجاه التقدم الدائم، ومن البساطة إلى المعقد إلى الأكثر تعقيدا، حيث كان لها بالغ الأثر في ظهور هذا الاتجاه التطوري والحقيقة أن فكرة التطور بحدّ ذاتها هي فكرة قديمة نجدها في النظريات الفلسفية، **فأرسطو** مثلا رأى أن الطبيعة هي صيرورة تخضع لمبدأ النشوء والارتقاء وكذا الفناء.

وعلى وقع هذا التأثير العلمي القديم والمستجد، استلهم رواد النظرية التطورية أساسهم العلمي، واستعاروا المفاهيم التي افرزها الاتجاه التطوري داخل حقل البيولوجيا **لداروين ولامارك** ليأخذوها إلى حقل الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

تاريخيا ظهر هذا الاتجاه التطوري في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن قام لويس **هنري مورغان** بتأسيس أوّل كرسي للأنثروبولوجيا في ولاية نيويورك، ثم جاء **إدوارد تايلور وجيمس فريزر** وهؤلاء الثلاثة هم رواد هذه المدرسة التطورية.

يعتقد هؤلاء الدارسين أن الثقافة هي نتيجة لتراكم النشاط الإنساني عبر الزمن، وأن التقدم هو الغاية الأساسية من التطور الإنساني، وأن المجتمعات الإنسانية كلها تتغير وفق قانون ثابت للتطور يقوم على التقدم من مرحلة دنيا إلى أخرى أرقى منها حتى تصل في النهاية إلى قمة الحضارة الإنسانية كما كانت ممثلة آنذاك في المجتمع الأوروبي، فالتطور هو القانون الذي يحكم الإنسان والمجتمعات البشرية.[1]

ويأخذ التطور حسب هذا الاتجاه مسيرة خطية واحد للمجتمعات عبر الزمن، وبأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى، فأحيانا يكون هذا التطور بطيئا ومتدرجا وأحيان يكون بوتيرة متسارعة أو متباينة، وقد سعى التطوّريون إلى الإحاطة بجميع الثقافات ومقارنتها فيما بينها، واضعين نصب أعينهم المجتمع الغربي الذي اعتبروه في قمة التطور، لأنه يشتمل على أرفع الأشكال التي بلغتها مختلف المؤسسات من سياسية، عائلية ودينية.[2]

---

[1]- فرديريك بارت وآخرون: الأنتروبولوجيا –حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أحمد أبو بكر باقر، ط1، المركز الثقافي العربي للأبحاث، 2017، ص 75.

[2]- المرجع نفسه، ص 110.

وحسب **لويس مورغان** فإن الإنسان مرّ بعدة مراحل ضمن حقب زمنية مختلفة حددّها وفق ما يلي:

- **مرحلة التوحش الدنيا:** يعتبرها مورغان مرحلة الطفولة البشرية حيث عاش الإنسان أشبه ما يكون فيها بالحيوان، هائما على وجهه، جامعا وملتقطا لجذور النباتات وبعض الثمار البرية.
- مرحلة **التوحش الوسطى:** تقدم فيها الإنسان قليلا عما كان عليه في المرحلة السابقة باهتدائه إلى اكتشاف النار، واستخدامها في طهو الطعام وإضاءة الكهوف.
- مرحلة **التوحش العليا:** اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم مما ساعده على تغيير غذائه ونمط عيشه بشكل عام، ويفترض مورغان ارتباط هذا التقدم في الاقتصاد بقدم مماثل في شكل التنظيم الاجتماعي والديني.
- **مرحلة البربرية الدنيا:** تميزت بوصول الإنسان إلى إبداعات جديدة أهمها صناعة الفخار، وخروج الإنسان عن عزلته الضيقة وانتشاره في مناطق أكثر اتساعا، وبداية نشوء جماعات اجتماعية.
- **مرحلة البربرية الوسطى:** تمكن فيها الإنسان من صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية، وكانت بداية اكتشاف الكتابة الصورية.

ويرى مورغان انه وبعد اجتياز هذه المراحل توصل الإنسان إلى **مرحلة المدينة** التي تتميز باختراع الحروف الهجائية والكتابة، وهي المرحلة التي لا تزال ممتدة إلى الوقت الراهن.

وقد ساد على رواد هذا الاتجاه الأوّلي الطابع النظري المحض الذي لم يرافقه أي دراسة أو بحث ميداني ضمن البحث الأنتروبولوجي العام.[3]

كما يعد إدوارد تايلور (1832-1917) واحدا من رواد هذا الاتجاه، حيث اعتبر أن الثقافة عنصر مساعد لفهم التاريخ الإنساني طالما أنها ظاهرة تاريخية تميز الإنسان دون غيره، ويكتسبها من المحيط الذي يعيش فيه، وبهذا المعنى تكون الثقافة هي حصيلة ما يكتسبه الفرد داخل المجتمع، ويرى تايلور أن دراسة الثقافة هو دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع باعتبارها العملية التاريخية إلى حالتها المعقدة إلى الحالة الأكثر تعقيدا.

تطورت على يد تايلور فرضية مفادها وجود "وحدة نفسية" البشر جميعهم، وبناءا على ذلك ومن خلال هذه الوحدة النفسية فقد تمكن البشر البدائيين والمعاصرين من أن يطوّروا المعتقدات والرؤى التي يتبنونها، وأن تقاليد الشعوب وعاداتها يمكن أن نلاحظها على أنها نتاج الأسباب نفسها التي جعلتنا على ما نحن عليه، كما يرى قدرة هذا التفكير البشري العام كمحرك بإمكانه أن يوّلد التغير التدريجي والتقدم العام الذي تعرفه البشرية اليوم وعلى هذا الأساس الفلسفي، انتقل تايلور إلى تحديد الهدف الأنتروبولوجي وهو "الثقافة" واعتبر الثقافة أو الحضارة في أوسع معنى اثنوجرافي هي "ذلك المرّكب

---

[3]- إبراهيم محمد عياش: التطور من المنظور الأنثروبولوجي، موقع aranthropos.com، تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر2018.

الكلي الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقـانون والعـادات، وأي قدرات أخرى أو هويات يكتسبها الإنسان بوصفه في المجتمع".[4]

كما يعد جيمس فريزر من رواد هذا الاتجاه، والذي ألّف كتابه الشهير "الغصن الذهبي" وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين سنة 1890، وصّح فيه أن كثير من الأساطير الدينية والشعائر أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ وان تطوّر العقل البشري مرّ بثلاث مراحل هي: السحر البدائي، الدين، والعلم.

يقول روبرت تميل في مقدمته لترجمة الكتاب الشهير: "لقد ترك كتاب فريزر أعمق الأثر في ثقافة العالم، فاكتشافه فيها يخص تطور المعتقدات يدخل في تيارات التغيرات الاجتماعية التي التفت حول نظرية داروين، ونظرية عالم الأنتروبولوجيا الاجتماعية تايلور، أو غيرهما من أصدقائه المفكرين المحدثين، كانت نظرية فريزر إلى تاريخ المعتقدات البشرية تطورية ونفسية بالدرجة الأساس، فهو يتحدث عن الإنسان في انتقاله من إيمانه بالسحر وسيلة للسيطرة على بيئته، إلى الإيمان الديني الذي يسعى إلى استرضاء الآلهة والأرواح، أمّا المرحلة الثالثة المنطقية في هذه العملية كما يراها فريزر فهي الفكر العلمي، فقد بيّن كتابه للمرّة الأولى أن أهمية المسائل المتعلقة بالمعتقدات البشرية لا تنبع من محتوياتها، بل من مدلولاتها النفسية.[5]

ويؤكد جيمس فريزر في كتابه أن المفتاح الذهبي -ويقصد به العلم تحديدا- يفتح كثيرا من الأقفال في خزانة الطبيعة، وأنّ الأمل في تحقيق التقدم في الأمور الأخلاقية والفكرية والمادية في المستقبل مرهون بحظوظ العلم، وأن كل عقبة تعترض سبيل الاكتشافات العلمية هي إثم يرتكب في حق الإنسانية.[6]

وعلى الرغم من أهمية الاتجاه، إلا أنه لاقى الكثير من الانتقادات باعتبار أن نظريته استندت إلى الحدس والتخمين، وتعميم الأحكام المطلقة على الثقافات الإنسانية من دون أن تثبت صحة ذلك بالبراهين والقرائن العلمية والواقعية.

مبادئ التطورية

اولا: - ان هناك قوانين كليه تحكم الثقافـة الإنسـانية وانهـا تمـر بمراحـل تطوريه حتمية متمايزة . فثقافة
اي مجتمع تتطور في طريق واحد خلال مراحل محـدده، من ثم سـاد الاعتقـاد ان الثقافة الاوربية تمثل
) القمة) في حين ان الثقافـات البدائيـة تمثـل المرحلـة الاولى في ثقافـة الجنس البشري وان التطور يسير

---

[4]- فريدريك بارث وآخرون: الأنتروبولوجيا، مرجع سابق، ص20-21.
[5]- جيمس جورج فريزر: الغصن الذهبي، ترجمة: محمد زياد كبة، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص08.
[6]

من البسيط الى المركب, وان الثقافات محل الاهتمام والدراسـة حين ذاك تمثـل فقط توضيح مرحله في
مجرى التطور الثقافي العام
ثانيا: - يسلم التطوريين بظاهرة التغير ويردونه الى اختلاف المرحلة التطورية للثقافة، اذ ان المجتمع
يتحرك دوما خلال مراحل متشابهة تتبع كل منها الاخر.
ثالثا: - ان عوامل التغير الثقافي تنمو ذاتيا وتظهر مع ظهور المرحلة التطورية بغض النظر عن تأثير
الزمان والمكان
رابعا: - ان اكتساب السمات الثقافية هذه او توارثها ومن ثم بلوغ المرحلة التطورية يعتمد على القدرات العقلية للانسان. ان ثمة وحدة نفسيه للجنس البشري , أي كل المجتمعات لها نفس القدرات العقلية ونفس
القدرة على التفكير. فعندما تواجه بنفس المشاكل سوف تخترع حلولا متشابهة واذا كان هناك مجتمعان
معزولان وظهرت مشابهه بينهما فان الاختراع المستقل يفسر لنا هذا التشابه, وان افراد المجتمع
.يتوارثون الثقافة بالقدر الذي تتيحه لهم قدراتهم العقلية
خامسا: - ان عناصر الثقافة ومكوناتها قابلة للاستعارة او الانتقال من ثقافة الى أخرى
سادسا: -يتم الانتقال من مرحله الى اخرى متى توفرت الشروط والعوامل الكافية لظهور المرحلة
التطورية
سابعاً: استخدم التطوريون منهج المقارنة comparative méthode حيث اعتقدوا بان الانساق
الاجتماعية – الثقافية التي يمكن ملاحظتها في الحاضر تحمل درجات مختلفة من المحاكاة / المماثلة
من الانساق والثقافات القديمة[7].

ا**لمراجع**

()- فرديريك بارت وآخرون: الأنثروبولوجيا –حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أحمد أبو بكر باقر، ط1، المركز الثقافي العربي للأبحاث، 2017.

(2)- إبراهيم محمد عياش: التطور من المنظور الأنتروبولوجي، موقع aranthropos.com، تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر2018.

[7] -https://www.uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures

[3]- جيمس جورج فريزر: الغصن الذهبي، ترجمة: محمد زياد كبة، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

[4]- https://www.uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures